إعادة صياغة مختارات من التصوير الحديث والمعاصر باستخدام تقنية الكولاج كمدخل لتنمية الشخصية الإبداعية لطلاب كلية التربية بالإسماعيلية

إعداد/ د. هند عماد أحمد الصفتي

مدرس الرسم والتصوير بكلية التربية بالإسماعيلية – جامعة قناة السويس

خلفية المشكلة:

إن أولى مراحل التعلم عند الإنسان منذ طفولته قائمة على المحاكاة والتقليد، فنجد الطفل يحاول أن يقلد كل من حوله كنوع من التكيف والتفاعل مع البيئة المحيطة به، فيكتسب العديد من السلوكيات والأفعال من خلال ملاحظته لكل ما حوله والاقتداء به. ويرجع ذلك إلى الفطرة التي أوجدها الله في عقول البشر. فنجد الإنسان يشعر بكل ما يراه ويسمعه، وكأن ما يراه يقع عليه فعلاً إلا أن العقل الواعي يتدخل هنا ويخبر الإنسان أنه ليس هو الذي وقع عليه الفعل، ولذلك فالإنسان يتأثر سلباً أو إيجاباً بكل ما يراه ويسمعه حتى ولو لم يشعر به ظاهرياً.

إن سلم التعلم من خلال المحاكاة والتقليد سلماً شجرياً يتمدد بالأفق فتتوارث الأجيال العلوم وتتناقل الخبرات فيكون العلم والتعلم دوماً في تقدم وانتشار، ولذلك قفزت البشرية خطوات إلى الأمام أسرع وأكبر عندما انفتح العالم على بعضه نتيجة للتطور التكنولوجي الهائل الذي كان سبباً في اختصار المسافات وتقارب الشعوب فتبادلت الثقافات وتعلم الآخرون من أخطائنا وتعلمنا من أخطائهم ودارت عجلة العلم والتكنولوجيا سريعاً بخطوات واثقة وجريئة.

وفي مجال التربية الفنية هناك العديد من الأساليب المستخدمة لتعلم الفنون من بينها أسلوب إعادة الصياغة حيث استخدمه العديد من الفنانين في إنتاج إبداعات مبنية على رؤى لأعمال فنية سابقة مما يقود إلى إبداع أشكال جديدة مستلهمة من العمل الأصلي وتحمل قيماً جمالية وتعبيرية، ويتناول هذا البحث أسلوب إعادة الصياغة لبعض الأعمال الفنية باستخدام تقنية الكولاج باعتباره أحد التقنيات المستخدمة حديثاً، كأسلوب تعليمي للطلاب وذلك كمحاولة لتنمية القدرة على التفكير والابتكار والنهوض بمستوى الطالب إبداعياً، والبحث عن مداخل تشكيلية جديدة تساعد الطالب على بناء شخصية فنية مستقلة، حيث لاحظت

الباحثة عند تدريسها لمقررات الرسم والتصوير بكلية التربية بالإسماعيلية، ضعف مستوى الطلاب بشكل عام وافتقارهم للمخزون البصري وقصور الرؤية الفنية لديهم. وذلك نتيجة لعدة عوامل منها:

- جميع أعضاء هيئة التدريس المكلفين بتدريس المواد الفنية لطلاب شعبة التربية الفنية منتدبين من محافظات أخرى، مما يعوق تدريس المقررات الفنية وإفادة الطلاب بالشكل المطلوب.
- الندرة في وجود المعارض الفنية والتشكيلية التي تثري مخيلة الطالب ووجدانه وتساعده على الابتكار والإبداع، مما جعل الكثير من الأعمال مفتقدة للخبرة الفنية والتراكمات المتعلقة بالأساليب والتقنيات التي تثري العمل الفني.
- قلة الرحلات العلمية التي تستهدف زيارة المتاحف والمناطق الأثرية والمعارض الدائمة مما أدى إلى افتقار أعمال الطلاب لأي فكر أصيل قائم على استلهام أعمال التراث.
- يسود على أغلب أفكار الطلاب الجمود أو التمحور حول فكرة واحدة فأغلب أفكارهم تفتقر للمرونة والطلاقة والأصالة، نتيجة لافتقارهم للمخزون البصري والقدرة على التأمل، فجميع الأعمال الفنية المكلف بها الطالب تأتي بطريقة نمطية خالية من الخبرة الفنية.
- عدم قدرة الطالب على التفكير بطريقة مستقلة فهو دائم السؤال وفي حاجة مستمرة إلى أخذ رأي أستاذه في كل خطوة يخطوها، غير واثق في أفكاره وغير قادر على حل المشكلات الفنية التي تواجهه حتى في اختياره لمجموعاته اللونية.
- مفهوم الإبداع لدى جميع الطلاب قاصر على فكرة أن الموهوبين فنياً هم فقط القادرين على الإبداع وهم قلة، ولم يصل المفهوم الحديث للإبداع إلى حيز التطبيق على أنه قدرة موجودة عند كل البشر ويمكن تنميتها، وأن تربية الإبداع ممكنة لأي شخص طبيعي.
- أحجام أغلب الطلاب عن المشاركة في المعارض الفنية والمسابقات لعدم ثقتهم في أنفسهم وقدراتهم الفنية.

من هنا تأتى أهمية هذا البحث الذي يستهدف إتاحة الفرصة للطالب للتأمل في أعمال سابقة واستخلاص ما تحمله من قيم فنية وتعبيرية وإعادة صياغتها بأساليب وتقنيات أخرى كالكولاج وما يضيفه إلى العمل الفني من مفاهيم وقيم جمالية مختلفة تساعد على إثراء مخيلة الطالب وتكشف ما لديه من قدرات إبداعية.

مشكلة البحث: تتحدد مشكلة البحث في التساؤل التالي:

هل من خلال تأمل مختارات من التصوير الحديث والمعاصر وإعادة صياغتها باستخدام تقنية الكولاج يمكن التوصل إلى مداخل تشكيلية تساهم في تدريس التصوير وتنمية الشخصية الإبداعية للطلاب؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

- إعادة صياغة مختارات من أعمال التصوير الحديث والمعاصر لإثراء التكوين بتكشف الأسس البنائية للعمل الفني المعاد صياغته.
- إثراء الجانب التقني والمهاري لدى الطلاب وفقاً لما تتيحه تقنية الكولاج من امكانات تساعد على المرونة والطلاقة فى التفكير.
- إثراء الرؤية البصرية والقدرات الخيالية لدى الطلاب مما يساهم في بناء الشخصية الإبداعية لديهم.

أهمية البحث: يهتم البحث بالآتي:

- التعرف على الأسس البنائية المختلفة للأعمال المعاد صياغتها.
- التوصل إلى مداخل تشكيلية مستحدثة تفيد في تدريس مقررات التصوير من خلال توضيح الجماليات الناتجة عن استخدام تقنية الكولاج من خلال إعادة صياغة بعض الأعمال.
- تنمية الشخصية الإبداعية للطلاب باستشراف القيم الجمالية التي تحملها الأعمال المعاد صياغتها.
- إثراء المخزون الثقافي والبصري للطلاب من خلال إعادة صياغة أعمال فنية تحمل ثقافات متعددة وتقنات مختلفة.

فروض البحث: يفترض البحث الآتي:

- يمكن إثراء الأسس البنائية للتكوين من خلال إعادة صياغة مختارات من أعمال التصوير الحديث.
- إمكانية إثراء القدرات العقلية والخيالية والمهارية لدى الطلاب وفقاً لما تتيحه تقنية الكولاج من مهارات.
- إمكانية بناء الشخصية الإبداعية للطلاب من خلال إثراء الرؤية البصرية لديهم.

حدود البحث: يقتصر البحث على:

- إعادة صياغة مختارات من التصوير الحديث والمعاصر.
- استخدام تقنية الكولاج كإحدى التقنيات المستخدمة في تدريس التصوير.
- إجراء تطبيقات على عينة من طلاب الفرقة الثالثة بكلية التربية بالإسماعيلية جامعة قناة السويس.

منهج البحث: يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي في اطاره النظري والمنهج التجريبي في إطاره العملي، وفقاً للخطوات الآتية:

أولاً: الإطار النظري للبحث:

١- مفهوم الصياغة:

الصياغة هي "محاولة لإيجاد الثوب الملائم للفكرة أو الانفعال، وتعني عملية إحكام العلاقات لهذه الفكرة وهذا الانفعال. وإحكام العلاقات يتطلب التحرك بكل عناصر التشكيل (خطاً، شكلاً، ولوناً) إلى أنسب وضع حيث يستطيع أن يلعب دوره في الصورة الكلية بشكل متكامل"[i]، وهذا يعني أن الصياغة وليدة فكر وإبداع الفنان وغير معنية بقواعد وتنظيمات إلا بما يتراءى لوجهة نظر مبدعها، حيث أنها نتاج خبرات وتجارب ورؤى خاصة بالفنان، لذلك فهي تتميز بالفرادة.

والصياغة عبارة عن فكرة يصوغها الفنان عن طريق إيجاد تفاعل بين عناصر العمل الفني محدثا تداخلاً للعلاقات التشكيلية مما ينتج عنه عملاً فنياً متكاملاً له سماته الخاصة والمختلفة عن سائر الأعمال، لذلك يمكن القول بأن الصياغة هي "البصمة المميزة لكل عمل فني على حده، وهي التي تميزه وترسم ملامحه المختلفة عن غيره. فهي تعني البحث عن الملامح والسمات والشخصية الملائمة للعمل الفني الواحد بكل ما ينطوي عليه من أفكار وانفعالات وعلاقات"ii.

٢- مفهوم إعادة الصياغة:-

يقصد بإعادة الصياغة reformulating "ما يقوم به الفنان من إبداعات مبنية على رؤى لعمل فني آخر، قد يكون سابق له أو عمل متخفي يقوده إلى اكتشاف أشكال جديدة مستلهمة من الشكل الأصلي بحيث تضم قيماً جمالية وتعبيرية، ويمر الفنان خلال إعادة الصياغة بعمليات ابتكاريه تقوده لذلك الاكتشاف الجديد"[iii]، ويرتبط بمفهوم إعادة الصياغة في الفن عدة مفاهيم تشير إلى نفس المضمون من هذه المفاهيم:

- **المحاكاة: Imitation:** اصطلاح له مدلول عند فلاسفة اليونان يقود إلى "أن الفن يقوم على تقليد أوضاع الطبيعة والمطابقة لها والذي نطلق عليه في لغتنا الحديثة (الفن الممثل للطبيعة) إلا أن المدلول الحديث لا يشترط فيه تلك المطابقة الحرفية لصور الأشكال الذي لا يخرج الأشكال الفنية من صورتها الواقعية كما هو الحال في الإنتاج الفني للقرن التاسع عشر"(١).
- **النقل: Copy:** يصف البعض أسلوب عملية النقل من الطبيعة بأن المبدع لا يكتفي بمحاكاة الطبيعة في شكل من أشكالها بل يخلق شكلاً جديداً وذلك "بمحاكاة أشكال مختلفة وبالتآلف بين أهم نواحي هذه الأشكال ولابد أن تكون هذه النواحي المستعارة من الأشكال القديمة قد اكتسبت دلالة في ذهن المبدع"(٢).
- **التقليد: Imitation:** التقليد هو "ظاهرة يحاكي فيها الفرد نشاط فرد آخر، وتبدو هذه الظاهرة في الرسم على أن محاولة المحاكاة هي الالتزام بمظهرية الشكل المنقول نصاً

وروحاً، تبعاً لحالة الناقل وهدفه ومدى وعيه بعملية النقل، وفي الفن يعد لغة تعبيرية تتضمن أسلوبين:

أولهما: الأسلوب الأكاديمي ويقصد به التسجيل والنقل الحرفي الفوتوغرافي لطبيعة الأشياء المرئية.

وثانيهما: يقصد به التمثيل الفني باستيعاب وهضم الأشكال من الطبيعة ثم إعادة رؤيتها بصفة جديدة لا يمكن لآلة مثل الكاميرا أن تقوم بمثلها ويعرف هذا الأسلوب بالخلق والإبداع(٣).

الإلهام: Inspiration (عرف فليكس كلاي – F, Clay) الإلهام بأنه: "لحظات الإبداع الفجائية، وهي لحظات تنتاب الفنان مصحوبة بأزمات انفعالية وتبدو بعيدة عن العمليات العادية للعقل بعيدة عن حكم الإرادة وسيطرتها، وتأتي غير متوقعة، ومجيئها غير مرهون بدعائنا كالنوم والأحلام"[iv].

الاستلهام: Inspiration ونتيجة لكون الإلهام فكرة ترد على الذهن بصورة خاطفة مفاجئة أو اكتشاف مفاجئ لحل مشكلة ما، وهي مرحلة من مراحل التفكير المبدع عند الفنان يترتب عليها استلهام لهذه الفكرة عن طريق الاندماج في العمل بمزيد من الاهتمام والاستغراق والبحث والاكتشاف والمعرفة ولتغير وجهة النظر والتفكير الأصيل المرن الذي يمكن للفنان أن يرى الأمور بطريقة مبتكرة، "فعملية الاستلهام في الفن تعد ضرباً من ضروب النشاط الخيالي والتصور وانعكاس للإلهام والوحي كما أنها عملية تأخذ مساراً نحو الابتكار والإبداع وهي فوق ذلك تتجه نحو إنتاج الفن لتحدد له الشكل والمضمون"[v]، من هنا فأسلوب إعادة الصياغة هو أسلوب يشتمل في مجمله على مختلف المفاهيم السابقة التي تتفق معه في الفكرة وقد تختلف في طريقة تناولها.

٣- فلسفة إعادة الصياغة عند الفنان:

لكل فنان أسلوبه ومنهجه الخاص في التعبير عن موضوعاته، حيث يرتبط الفن بفلسفة الفنان ووجهة نظره التي تترجم الكون المحيط به، فالفنان دائم البحث عن الحقيقة الكامنة خلف الأشياء للكشف عن الجوهر الحقيقي لها، لذلك فهو يعبر عن شخصيته وفكره ووجدانه وفلسفته إبان أي عمل فني ينتجه، من هنا جاءت فكرة إعادة صياغة الأعمال الفنية لما تحمله تلك الأعمال من فكر وفلسفة خاصة بالفنان الذي أبدعها من حيث المضمون، مما دفع الكثير من الفنانين لإعادة صياغة بعض الأعمال لإبراز محتواها بفلسفة جديدة نابعة من فكر ووجدان الفنان الذي يقوم بإعادة صياغتها.

فنجد الفنان "فان جوخ Van Gogh" وقد اهتم بإعادة صياغة أعمال فنانين سابقين كانو يمثلون بالنسبة له نماذج فنية تصلح للدراسة لما تحتويه أعمالهم من فكر وفلسفة، ومن هؤلاء الفنانين ديلاكروا Delacroix – رامبرانت Rembrandt – فرنسوا ميليه F. Milet، دومييه Daumier. فقد رسم فان جوخ لوحة إحياء لازاريوس، بمتحف امستردام ١٨٨٨ (شكل ١) عن

أحد أعمال الحفر لرامبرانت (شكل ٢)، والتي رسمها عام ١٦٣٢ وتحمل نفس العنوان، وفي هذه اللوحة حاول فان جوخ إظهار العلاقات التعبيرية للألوان، في قالب فلسفي جديد خاص به، مستفيدا من أعمال الفنانين السابقين في تطوير أسلوبه ودعم قدراته الفنية.

ولم يتوقف إبداع فان جوخ عند هذه اللوحة فقط بل نجده أيضا أعاد صياغة لوحة باذر الحبوب لميلية عدة مرات، حيث وجد أن النقل – Copying يعلمه أشياء كثيرة كما يكسبه خبرات بصرية جديدة تعمل على دعم رؤيته الفنية والجمالية وتكسب أعماله فكر فلسفي جديد، وامتد اهتمام فان جوخ ليصل إلى الفن الياباني حيث تأثر به، وأعاد صياغة الكثير من أعماله مثل لوحة الأب تانجي (شكل ٢).

شكل (١) فان جوخ: مشهد من إحياء لازاريوس

شكل (٢) فان جوخ: الأب تانجي

لقد كان لفنان (فان جوخ) فلسفته الخاصة عند قيامه بإعادة صياغة أعمال فنانين سابقين أو تأثره بالفن الياباني ومحاولة صياغته بصورة جديدة، فقال مؤكداً تأثره الشديد بهذا الفن"إذا درسنا الفن الياباني فسوف نرى إنساناً حكيماً فيلسوفاً وذكياً دون شك، أنني أحسد اليابانيين على الوضوح الشديد في كل أعمالهم إنها ليست مرهقة أو مملة ولا تبدو وكأنها تمت على عجل، إن أعمالهم بسيطة كعملية التنفس، وهم يقومون بعمل الأشكال من خلال لمسات دقيقة واثقة بالفرشاة"[vi]، ويرى (فان جوخ) أيضاً "إن الفنان لا يستطيع إبعاد الكثير من مشاعر القلق والإثارة ويستعجل نفسه رغم أنه لا يجب أن يكون متعجلاً ولكن هذه المشاعر لا يجب أن تستمر ولابد أن يأتي وقت يستطيع فيه الفنان تجاوز ذلك كله وعبوره وليس هناك بديل عن ذلك في رأيي إلا التعلم من الطبيعة وعلى يد الأساتذة ومن خلال أعمالهم، ثم محاولة البحث عن الأسلوب المميز والسعي المتواصل نحو الأصالة والتفرد"[vii].

وترى الباحثة أن الفنان (فان جوخ) كان فناناً مؤمناً بضرورة الرجوع إلى الطبيعة والنقل والاستلهام منها بالإضافة إلى الرجوع لأعمال الفنانين السابقين ومحاولة إعادة صياغتها مرة أخرى لتكشف ما تحمله من مضامين جمالية وفلسفية تتعلق بالمضمون وفلسفة الحركة واللون، لأن ذلك كله يعمل على إكساب الفنان العديد من الخبرات أهمها ثراء الرؤية البصرية وتكوين المخزون الفكري والثقافي والفني الذي يستطيع من خلاله

تحديد أسلوبه أو اتجاهه الفني، مما يعمل على تكوين شخصية إبداعية مستقلة ومتفردة، كما نرى بيكاسو – Picasso وقد أعاد صياغة لوحة (وصيفات الشرف) للفنان الأسباني فيلاسكيز– Velazquez (شكل ٣)، حيث لاقت هذه اللوحة جدلاً وصل لدرجة جعلت بابلو بيكاسو وهو أحد أعمدة الفن في القرن العشرين يرسم سلسلة من ٥٨ لوحة عام ١٩٥٧ (شكل ٤) شارحاً بها لوحة واحدة فقط: "الوصيفات"، حيث يقول الأديب والفنان الأسباني جيم سبارتس في كتابه استوديو بيكاسو (L' atelier de Picasso) والذي نشر عام ١٩٥٢، أن بيكاسو خلال سلسلة الوصيفات لم يكن يقدم نسخ متعددة من لوحة الوصيفات في إطار المدرسة التكعيبية، بل أراد أن يقدم وصيفاته هو، وتحليله هو، والمتأمل لهذه اللوحة يلاحظ ذلك التحاور بين الحقيقة والخيال، حيث يتبادل الناظر والمنظور النظر بلا توقف. فنلاحظ فيلاسكيز وقد قام برسم نفسه في أمامية اللوحة مما يجعل المشاهد لهذا العمل لا يعلم إذا كان رائي أم مرئي، لكن لو اتبعنا خط النظر سنجد أن فيلاسكيز يحدق في الرائي وكأنه يستعد لرسمه، كذلك نجد المرآة التي تتوسط الحائط عاكسة صورة الملك والملكة بملامح باهتة، ربما قصد من خلالها التعبير عن الغياب أكثر من الحضور؛ الغياب المتمثل في صورة غير واضحة معكوسة في مرآة. حيث نرى الوصيفات أكثر حضورا في اللوحة من الملك والملكة.

إن ما قدمه فيلاسكيز في الوصيفات ليس مجرد حرفية عالية في الرسم، بقدر ما كان يقدم مفهومه الشخصي ورؤيته للرسم من خلال هذه اللوحة، فالرسم عند فيلاسكيز ليس مجرد مهنة أو موهبة بقدر ما يرتقي بالرائي ويحرر عقله من أي مطلقات أو مسلمات، فهو لا يرتقي بالحس الجمالي للمشاهد فقط بل بقدراته العقلية أيضا، لقد قدم فيلاسكيز عصارة عقله في الوصيفات فبدلا من رسم لوحة ذات موضوع واحد؛ قدم لوحة شملت الرسام (فيلاسكيز) والمرسوم (الملك والملكة) والحضور (الوصيفات) وأضاف على هذا ما لم يستطع أحد قبله أو بعده أن يضيفه؛ رسم فيلاسكيز كل من سيمر باللوحة. أنت وأنا وكل من ينظر لفلاسكيز وهو يرسم يصبح ببساطة موضوع الجدارية الموجودة على يسار الرائي.

من هنا ترى الباحثة أن إعادة صياغة العمل الفني الجيد القائم على أسس بنائية وجمالية وفلسفية يعمل على تحفيز الإبداع لدى الفنان من خلال تأمله وتحليله، كما حدث مع بيكاسو حيث أثارت لوحة الوصيفات قدراته الإبداعية والتخيلية فاهتم بالفلسفة التي يقوم عليها بناء هذه اللوحة، وأضاف رؤيته وفلسفته الخاصة، "هذا بجانب أنه استطاع أن يصيغ لنفسه على مدى سنوات إنتاجه الفني ما يسمى (بالموجز الشكلي) أي تلخيص الخبرات البصرية في رموز تجريدية مقتصدة يسهل إعادة استخدامها بل وصياغتها داخل بناءات متجددة باستمرار، محققاً بذلك نسقاً تشكيلياً خاصاً، وهو ما نسميه (بالأسلوب الخاص) في التناول، أو روح الفنان وتفرده"[viii].

شكل (٣): فيلاسكيز، وصيفات الشرف، ١٦٥٦م شكل (٤): بابلو بيكاسو – الوصيفات
عن/ http://www.masralarabia.com

٤ – التعبير باستخدام تقنية الكولاج:

الكولاج (من الفرنسية: *Coller* والتي تعني لصق)، وهو فن بصري يعتمد على قص ولصق العديد من المواد معاً، وبالتالي تكوين شكل جديد. إن استخدام هذه التقنية كان له تأثيره الجذري في مجال التصوير الزيتي في القرن العشرين كنوع من الفن التجريدي، وتعتمد تقنية الكولاج عند تطبيقها على قصاصات الجرائد، الأشرطة، وأجزاء من الورق الملون أو ورق المجلات، ونسبة من الأعمال الفنية الأخرى والصور الفوتوغرافية وما إلى ذلك. حيث يتم تجميع هذه القطع والقصاصات وتلصق على قطعة من الورق أو القماش.

وتستخدم تقنية الكولاج في هذه الدراسة كحلول بديلة عن اللون التقليدي باستخدام أوراق الجرائد والمجلات الملونة كأحد الحلول التشكيلية لمسطح اللوحة بحيث تكون الأشياء الملصقة جزء من البناء التركيبي العام للوحة لإحكام التلوين وتعمل على تحقيق ثراء ملمسي، كما تمثل بديل جديد مبتكر، ومختلف عن الحلول التقنية اللونية المعتادة، "فلقد ابتدع التكعيبيون طريقة اللصق بإضافة خامات غير تقليدية إلى لوحاتهم، حيث أوجدا على سطح تلك اللوحات ثراءًا ملمسياً ملحوظاً، وكانت الأشياء الملصقة تعتبر جزءاً من التركيب العام للوحة"[ix].

– **بعض المفاهيم والقيم الفنية المرتبطة بتقنية الكولاج في التصوير:**

يقصد بتقنية الكولاج في التصوير "تحقيق التصور المبدئي وتحويله إلى الشكل المادي الملموس الخاضع للإدراك البصري، وهو في هذا السياق يشير إلى عملية بناء اللوحة وتكوينها وإضافة ما تحتاج إليه من خامات وألوان، وخلال عملية التنفيذ يمكن أن يظهر الإيقاع الشخصي للمصور بطريقة واضحة"x، ويرتبط بتقنية الكولاج في التصوير عدة مفاهيم نعرض منها ما يلي:

– **مفهوم التوليف:** تستخدم كلمة توليف في الفنون الحديثة بمعنى "التوفيق بين أكثر من خامة في العمل الفني الواحد، بحيث تثري الخامات المجتمعة العمل الفني ذاته"[xi]، كما تعني كلمة التوليف "الملصقة" وهي "الرسم التجريدي المؤلف من قصاصات الصحف أو

الإعلانات وغيرها، ملصقة على سطح الصورة"[xii]، كما تعني كلمة توليف "نوع من الفن التجريدي الذي تستخدم فيه قصاصات من الصور على الورق، توضع فوق بعضها البعض لتوحد مسطح التكوين"[xiii]، ويدخل الكولاج في العديد من المجالات التي تستخدم التوليف بطرق مختلفة فيطلق الفوتومونتاج Photomontage على عمليات التوليف المستخدمة قي التصوير الفوتوغرافي، كما يمكن مقارنته بعملية المونتاج Montage السينمائي والمكساج Mixage الذي يعني بتركيب الصوت على الصورة، وبذلك فالكولاج طريقة قائمة على التوليف ابتدعه التكعيبيون عام ١٩١٢تقريباً، بإضافة خامات غير تقليدية إلى لوحاتهم، حيث أوجدوا على سطح تلك اللوحات ثراءًا ملمسياً ملحوظاً، وكانت الأشياء الملصقة تعتبر جزءًا من التركيب العام للوحة.

- **التجريب:** تندرج تقنية الكولاج تحت مفهوم التجريب، إذ أن التجريب أعم وأشمل فهو واحداً من مصادر الرؤية الفنية، إذ أنه عملية تجمع بين استمرارية التفكير المنطلق، أو المتشعب، أو الابتكاري، التي تحقق مفاهيم مستحدثة غير مسبقة في البحث عن القيم الفنية في أي من أعمال الفن التشكيلي، ولا يعنى التجريب في الفن، العفوية، أو التعامل مع الصدفة بشكل مستمر، لكنه عملية تخضع لإرادة الفعل العقلي؛ إضافة للفعل الوجداني المتميز بذاتية التعبير الفني عند الفنان، كذلك فالتجريب في الفن وإن اتفق مع أساسيات التجربة العلمية، إلا أنه يختلف عنها في مفردات العملية الإبداعية، وطبيعة الناتج.
- **الفسيفساء/ الموزاييك:** هو فن وحرفة صناعة المكعبات الصغيرة واستعمالها في زخرفة وتزيين الفراغات الأرضية والجدارية عن طريق تثبيتها بالملاط فوق الأسطح الناعمة وتشكيل التصاميم المتنوعة ذات الألوان المختلفة، ويمكن استخدام مواد متنوعة مثل الأوراق الملونة والحجارة والمعادن والزجاج والأصداف وغيرها. ويتم توزيع الحبيبات الملونة المصنوعة من تلك المواد بشكل فني ليعبر عن قيم دينية وحضارية وفنية بأسلوب فني مؤثر. وهو من أقدم فنون التصوير.
- **فن التركيب:** التركيب (بالفرنسية: Assemblage)، وهو عملية فنية، وهو مصطلح فني متعدد الاستعمالات في العديد من الفنون، ويرتبط الكولاج بالعديد من القيم الفنية التي يعمد الفنان على تحقيقها عند استخدامه لهذه التقنية ومنها: الوحدة والاتزان والتناسب والإيقاع والقيم المتعلقة بالتوظيفات اللونية والظلية التي تحدث حساً درامياً.

ثانياً: الإطار العملي:

تهدف التربية الفنية إلى استخدام الفرد لحواسه استخداماً غير محدود، "فالعين قبل أن تكون أداة تجنبنا الخطر عندما نراه، وظيفتها الرؤية، كذلك الأذن وظيفتها السمع، وهكذا مع بقية الحواس الأخرى من لمس وشم ومذاق"[xiv]، كما أن أهم أهداف التربية الفنية تكمن في الحث على التجريب بالخامات المختلفة، لاكتساب خبرات جديدة، وذلك عن طريق إتاحة الفرصة لكل البدائل الفكرية والجوانب الجمالية المختلفة، ومفهوم التجريب يتضح في وعي الطالب بزوايا الرؤية المتنوعة للموضوع وكيفية إدراك متعلقاتها التشكيلية غير المألوفة للإنسان العادي، ويتضح مفهوم التجريب في "معنى المرونة والطلاقة في التشكيل الفني بما يقدمه المجرب من الحلول المختلفة لموضوع ما أو قطعة تشكيلية معينة"[xv].

وبذلك فإن صياغة أعمال الفنانين التشكيليين تعد عملية تدريب للحواس حيث يرى الطالب بدقة تلك المؤثرات اللونية، والملامس، ومسار تنفيذ الفكرة، وأسلوب الفنان، فيحاول الطالب أن يضع نفسه محل الفنان في عملية الإبداع محاولاً إعادة صياغة عمله، وهذه العملية تسبقها مراحل من التجريب للوصول إلى التقنيات التي تحقق ذلك، كما يدرب الطالب عينه محاولاً الوصول إلى الدرجات اللونية الملائمة التي تتوافق وتقنات الفنان اللونية، وهذا ما تسعى التربية الفنية لإكسابه للطالب، حتى يتشرب تلك الألوان ويتدرب عليها بكافة التقنيات الملائمة.

إن عملية إعادة الصياغة تساهم تكوين مخزون بصري لدى الطالب، كما تعد هذه العملية بمثابة مذاكرة واسترجاع وفهم واعٍ لتركيبات الألوان والتعايش معها، كما تعد عملية استدعاء لأساليب الفنانين وتنوعها واختيار الأسلوب والتقنية الملائمين لتنفيذ العمل الفني، ومن ثم فهذه العملية تعد من عمليات الإبداع الفني في مجال التصوير.

من هذا المنطلق قامت الباحثة بعرض مختارات من أعمال الفنانين التي تم إعادة صياغتها من قِبل فنانين أخر، ثم قامت خلال عدد من المقابلات مع الطلاب بتدريبهم على استدعاء الأساليب والتقنيات من خلال تجارب تدريبية على عملية اعادة الصياغة، وهذه المراحل التي مر بها الطلاب ساعدتهم على تدريب حواسهم من خلال "التأمل الجيد والإحساس بما خلفه لنا السابقون من أعمال فنية رائعة، وبذلك فإن محاولة إعادة صياغة تلك الأعمال ما هو إلا تجريب مستمر لمحاولة الكشف عن حلول تشكيلية جديدة سواء باختلاف الأسلوب أو تجريب ذلك بخامة مختلفة"[xvi]، وهذه العمليات تعد بمثابة نشاط حر يتمتع الممارس له بقدر كبير من حرية الاختيار، والتعبير المنطلق من إحساس الفنان، وفق منهجية تتفق مع طبيعة الممارس للعملية الإبداعية، مما يساهم في النهوض بالفكر ودعم الجوانب المهارية لدى الطلاب.

والتجريب في مجال التصوير من مفهوم إعادة الصياغة ليس مجرد تشكيل فني جديد بقدر ما هو سلوك إبداعي يساعد الطلاب على نمو التفكير والأداء والطلاقة التشكيلية وما يتبعها من عمليات عصف ذهني خلال عرض الجوانب الجمالية والحلول المختلفة للموضوع الواحد.

عينة البحث: أجرت الباحثة التطبيقات البحثية على عدد (٢٠) طالب من طلاب كلية التربية جامعة قناة السويس، قسم التربية الفنية، الفرقة الثالثة حيث يتضمن مقررهم الدراسي على فن (الكولاج) والذي يهدف إلى توظيف الخامات القابلة للتلصيق في ابتكار عمل فني ذو بعدين.

التجربة التطبيقية للبحث: قامت التجربة على المحورين الآتيين:

الأول: إعادة صياغة مختارات من أعمال رواد الفن التشكيلي.

الثاني: إنتاج مجموعة أعمال فنية مبتكرة للوجه الآدمي باستخدام قصاصات المجلات الملونة لتحقيق القيم التعبيرية والرمزية مع التدريب على مهارات وتقنيات فن التلصيق (الكولاج).

المحور الأول: إعادة صياغة مختارات من أعمال رواد الفن التشكيلي.

الباحثة من خلال هذه الدراسة التى طبقها على طلاب الفرقة الثالثة بكلية التربية جامعة قناة السويس قسم التربية الفنية؛ حاولت التوصل إلى صياغات تشكيلية تعد مدخلاً للاستلهام، مستخدمةً تقنية توليف الخامات (الكولاج) فى انتاج أعمال فنية قائمة على توظيف الرؤية البصرية وتدريب العين جيداً على عمليات النقل والتدريب وقراءة مفردات التكوين والصياغات والتوظيفات التقنية اللونية حتى يتسنى للطالب تحقيق القيم الجمالية من خلال الإحساس بالارتياح تجاه العمل الفني عند رؤيته.

وهذه التجربة بقدر ما ينحصر فيها الطالب في التدريب على عملية النقل إلا أن فيها من التشويق والشحنات الانفعالية ما يعد بمثابة الدافع للتميز، وللخامة دور هام في تحقيق العمل الفني حيث تشمل اللون المناسب المتوافق مع العمل الأصلي، وعلى الطالب تدريب بصره وبصيرته في فك رموز وشفرة العمل الفني لانتقاء الخامة وما تتيمز به من ألوان مناسبة ومتلائمة مع العمل الفني الذي ستعاد صياغته.

وفيما يلي عرض لمختارات من الأعمال الفنية والصياغة التشكيلية المعادة لها من قِبل طلاب العينة:

٦ – سلفادور دالي:

الفنان سلفادور دالي: إصرار الذاكرة، زيت على توال، ١٩٣١م.

من أعمال أحد طلاب العينة

من أعمال أحد طلاب العينة

فان فان جوخ: بورتريه شخصي يعبر حالة من التأمل والصبر. من اعمال طلاب العينة

فان عبد الرحمن النشار : تمكس فلسفة العصر واتجاهاته العلمية. من اعمال طلاب العينة

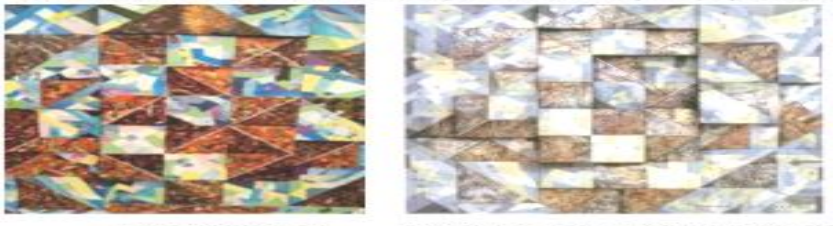

فان عبد الرحمن النشار : منظومة عصوية هندسية. من اعمال طلاب العينة

الفنان عبد الرحمن الشاذلي: مأساة القدس.

من اعمال طلاب العينة

الفنانة زينب السجيني: صباح الخير يامصر ، زيت على توال.

من اعمال طلاب العينة

جورج كوارسوف: راقصة.

من اعمال طلاب العينة

جورج كوارسوف: راقصة.

من اعمال طلاب العينة

جورج كوارسوف: راقصة

من اعمال طلاب العينة

عبد الهادى الجزار: المجنون الأخضر

من اعمال طلاب العينة

من اعمال عبد الهادى الجزار

من اعمال طلاب العينة

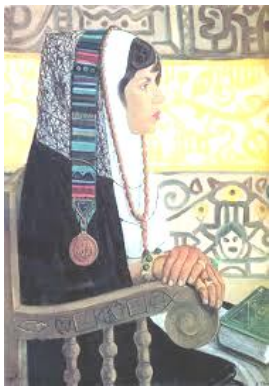

من أعمال عبد الهادي الجزار.

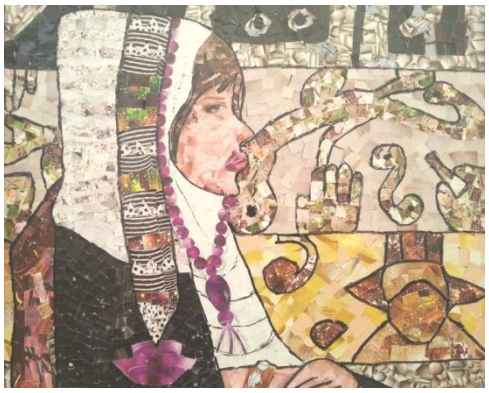

من أعمال طلاب العينة

الثاني: إنتاج مجموعة أعمال فنية مبتكرة للوجه الآدمي باستخدام قصاصات المجلات الملونة لتحقيق القيم التعبيرية والرمزية مع التدريب على مهارات وتقنيات فن التلصيق (الكولاج).

ويعد الوجه الإنساني من أهم المفردات التى شغلت اهتمام الكثير من الفنانين على مر العصور، فقد عبروا عن الوجه بطرق وأساليب ذات أبعاد تشكيلية وتعبيرية مختلفة، "تتضمن سمات مادية "تشكيلية" ومعنوية "تعبيرية" تتمثل فى ملامح الوجه وما يحمله من تعبيرات لحركات عضلية متنوعة تعطى دلالات نفسية مختلفة"[١]، ذلك لأن طبيعة الوجه الآدمى تتميز بما يحمله من انفعالات ناتجة عما يدور بداخل الإنسان فتنطبع أثارها عليه فتارة تكون حزينة أخرى تكون هادئة، وبذلك تفصح الأعمال الفنية القائمة على توظيف الوجه كمفردة تشكيلية فى التصوير عن الكثير من المعاني التعبيرية التى تعكس مشاعر وأحاسيس الإنسان، وعند تتبعنا لهذا المجال عبر العصور "لا يمكن أن نتجاهل الفنون القديمة وما قدمته فى مجال الصورة الشخصية فى فنون الحضارات القديمة عامة، والتي تركت عظيم الأثر فى مجال فن التصوير"[٢] حيث تضمنت تلك الفنون القديمة معالجات وتقنيات وأساليب ميزت كل منها على حدة، وأضفت عليها سمات تعبيرية وقيم تشكيلية متنوعة، وقد لاقت الصورة الشخصية فى العصر الحديث اهتماماً كبيراً نتيجة لما فرضته طبيعة هذا العصر من تطور تكنولوجى كان له دور هام فى مجال الفن عامة والتصوير بصفة خاصة، وذلك من خلال تطبيق الأساليب العلمية الحديثة فى التصوير بتعميق الفكر التجريبى، الذى بدوره يثرى جوانب الرؤية الجمالية وينمى الفكر الإبداعي. وقد ظهر العديد من المعالجات الفنية منها "الكولاج، والرسوم الجاهزة والمطبوعة وذلك من خلال الاتجاهات والمدارس الفنية كالتكعيبية، والدادية والسريالية والتجريدية، فمعظم هذه الحركات قد رفضت القديم وتحررت من القواعد الجامدة التى كانت سائدة من قبل"[١]، وقد كان لهذه الاتجاهات أثر واضح على تحديث المعالجات الفنية عند تناول الوجه كمفردة تشكيلية فى التصوير المعاصر الذى اختلف تماماً عما سبق فى هذا المجال حيث خضع للإطار الفلسفى للمذاهب الفنية.

ولقد تناوله فنانو كل مذهب بأساليب متنوعة يتضح من خلالها التباين الفكرى والفلسفي والفني والتقني، ومن هؤلاء الفنانين على سبيل المثال "الفنان فرانسيس بيكون الذى قدم دراسة تجريبية مستفيضة عن تحريف رؤوس الرجال وصورهم الشخصية وكانت نتائج هذه الدراسة التوصل إلى عدد كبير من الصور التى تتميز بتنوعها الشديد وتحريفها الواضح وبعدها عن الواقعية التسجيلية"(٢)، كما تنوعت الأساليب والحلول التشكيلية والمعالجات الفنية للوجه من فنان لآخر ممن تناولوه بالرسم والتصوير ومن بين هؤلاء الفنانين "أندى وارهول، أرشم بولدو، بيكاسو، بول كلى، جيمس أنسور، رمبرانت، وموديلياني من الفنانين الأجانب وعلى السيوى، أحمد نوار، منير كنعان، أنجى أفلاطون، تحية حليم، سيف وأدهم وانلى، فرغلى عبد الحفيظ وزينب السجينى، وسعد العبد من الفنانين المصريين، وكان لهؤلاء الفنانين دور هام فى هذا المجال، حيث تم إدخال أبعاد جديدة ومنطلقات مستحدثة أثرت العملية الإبداعية بتركيبات فنية حديثة ومبتكرة على أساس من الخبرة وتحقيقاً للرؤية الإبداعية المستحدثة. ولقد قامت الباحثة بعرض مختارات من أعمال بعض الفنانين الذين تناولو الوجه الآدمي بأسلوب يعتمد على التحريف والرؤية المغايرة للواقع لإثراء الجوانب الخيالية والتصورية للطلاب لإطلاق العنان لهم للتعبير عن رؤيتهم الذاتية الخاصة تجاه الوجه الآدمي بتعبيرات لا تعتمد على تصوير الواقع بقدر ما تستهدف استخراج ما بداخلهم من شحنات إبداعية، وفيما يلي مختارات من تلك الأعمال.

فرنسيس بيكون: تحريف الوجه.

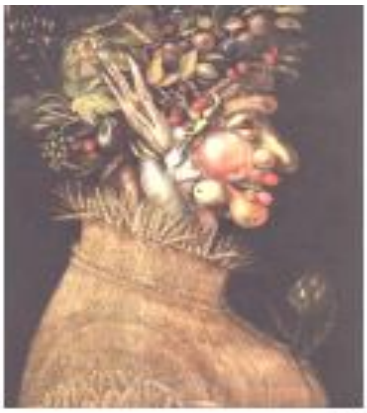

من أعمال أرشيمبلدو.

من أعمال أرشيمبلدو

عادل السيوى: الحس ، ٧٠×٥٠سم، ٩٧ ١٩٩٨ بابلو بيكاسو، ١٩٢٥.

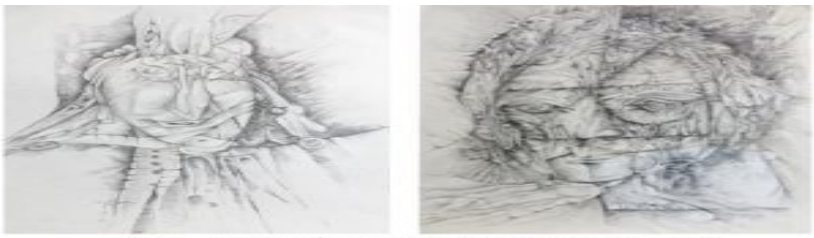

الفنان سعد العبد : تحولات الوجه الآدمي ، رسم بأقلام الرصاص على ورق .

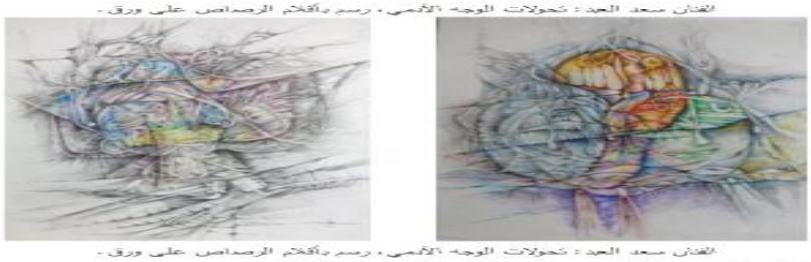

الفنان سعد العبد : تحولات الوجه الآدمي ، رسم بأقلام الرصاص على ورق .

وفيما يلي مختارات من أعمال طلاب عينة البحث توضح كيف عبروا بخامات ورق المجلات الملون عن الوجه بأسلوب يجمع بين الرمز والتعبير .

من أعمال طلاب العينة البحثية.

من أعمال طلاب العينة البحثية.

من أعمال طلاب العينة البحثية.

من أعمال طلاب العينة البحثية.

من أعمال طلاب العينة البحثية.

من أعمال طلاب العينة البحثية.

أولاً: النتائج: توصلت الباحثة إلى عدة نتائج تتحدد فيما يلي:

- من خلال إعادة صياغة أعمال الفنانين باستخدام تقنية الكولاج تم الكشف عن مظاهر وكيفيات لها دلالات جديدة وغير مألوفة.
- تم تدريب الطلاب على كيفية إيجاد صياغات تشكيلية مختلفة من خلال رؤية العلاقات الأساسية للعمل المعاد صياغته ودراستها.
- اكتسب الطلاب الطلاقة والمرونة في التأليف من خلال المعالجة باستخدام تقنية الكولاج.
- يعمل اسلوب اعادة الصياغة على اثراء الرؤية البصرية والقدرات الخيالية لدى الطلاب مما يساهم في بناء الشخصية الإبداعية المستقلة لديهم.
- تبين ان التجريب باستخدام تقنية الكولاج يعمل على زيادة ثقة الطالب بنفسه، مما يدفعه للبحث عن اتجاهاً فنياً متفرداً.

ثانياً: التوصيات: توصي الباحثة بالآتي:

- أن تتضمن المناهج الدراسية طريقة اعادة الصياغة كطريقة لتدريس التصوير لتنمية الجوانب الابتكارية لدى الطلاب.
- المزيد من الدراسات حول الأساليب الإنشائية والقيم الفلسفية التي تتضمنها أعمال مشاهير الفنانين للاستفادة منها في أبداع أساليب أدائية جديدة في التصوير.
- تبصير الطلاب بالفرق بين التقليد الأعمى وإعادة الصياغة لمساعدتهم على تكوين شخصياتهم الفنية.
- ضرورة الاهتمام بإعادة صياغة الأعمال التراثية والمتحفية لتبصير الطلاب بقيمة الحضارة مما يساعدهم على التمسك بهويتهم العربية.

المراجع:

١- أيمن الصديق على السمري: إعادة صياغة الأعمال الفنية في التصوير الحديث كمصدر للإبداع الفني، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٩٦. ص١٧

٢- محمود البسيوني: أسرار الفن التشكيلي، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤. ص ٦٦

٣- أيمن الصديق على السمري: مرجع سابق ، ص ١٨

٤- حسن محمد حسن: الأصول الجمالية للفن الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت)،ص ٦٤.

٥- يوسف مراد: مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٢٦٧.

٦- سهير إسحاق مرقص: الدلالات النفسية لنزعة التقليد كما تبدو في رسوم مجموعة من المراهقين تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والخامسة عشرة وآثارها التربوية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية الفنية جامعة حلوان، ١٩٧٣، ص١٠.

٧- مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبدلع الفني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١، ص١٧٥.

٨- أشرف السيد العويلي: الفن الشعبي في التصوير المصري المعاصر ومداخل استخدامه في التربية الفنبية، رسالة ماجيستير (غير منشورة)، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٩١. ص١٤

٩- شاكر عبد الحميد: العملية الإبداعية في التصوير، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧،ص٢٥.

١٠- شاكر عبد الحميد: المرجع السابق، ص١٢٦

١١- فاروق بسيوني: قراءة اللوحة في الفن الحديث، دراسة تطبيقية في أعمال بيكاسو، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص٣٩.

١٢- محمود عبد العاطي: توظيف البعد الثالث الحقيقي في التصوير الحديث، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٨٧. ص٤٣

١٣- شاكر عبد الحميد: العملية الإبداعية في التصوير، مرجع سابق، ص١٥٥.

١٤- نبيل السيد الحسيني: أثر توليف الخامات في التعبير الفني عند تلميذ المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٧١،ص١.

١٥- منير البعليكي: قاموس المورد، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧١،ص١٩٢.
16- Fowler, H.W and Fowler, F.G.: the Concise oxford Dictionary, oxford University city Press 1946. P. 99
١٧- حمدي خميس: طرق تدريس الفنون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.
١٨- هدى أحمد زكي: المنهج التجريبي في التصوير الحديث وما يتضمنه من أساليب ابتكارية وتربوية، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، غير منشورة، جامعة حلوان، ١٩٧٩م، ص٢١٠.
١٩- أيمن الصديق علي السمري: إعادة صياغة الأعمال الفنية في التصوير الحديث كمصدر للإبداع الفني، مرجع سابق، ص ١٤٨
٢٠- توماس مونرو: التطور فى الفنون، ترجمة عبد العزيز توفيق وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، ص١٢.
٢١- هالة فؤاد احمد: الصورة الشخصية فى مصر من القرن الأول الميلادى حتى القرن الرابع، رسالة ماجيستير، غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان،١٩٩٦، ص و.
٢٢- هربرت ريد : الفن اليوم، ترجمة محمد فتحى وجرجس عبده،، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص١٢٨.
٢٣- محى الدين طرابية : الدلالات التعبيرية لتحريف الشكل الآدمى فى التصوير الحديث، مؤتمر الفن وتحديات العصر، كلية الفنون الجميلة بالمنيا، ١٩٩٤، ص١٣٩.